الحوار الرمضاني حول صوم الخصوص

أ. د سُميّة عيد الزعبوط

2025 /3 /6

https://talsci.com

الحوار الرمضاني حول صوم الخصوص

الصوم: هو الكف عن الطعام والشراب، وسائر المفطّرات؛ قمعًا للشيطان وسدًا لمنافذه

فضل الصوم:

- **الصوم ربع الإيمان:** إن الصوم ربعُ الإيمان ، بمقتضى قول رسول الله محمد صلّ الله عليه وسلم، " الصوم نصف الصبر"، وبمقتضى قوله صلّ الله عليه وسلم: " الصبرُ نصف الإيمان، قال تعالى في سورة الزمر، آية رقم (10): ﴿... **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ ، والصوم نصف الصبر، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير، والحساب.
- **منسوب إلى الله** : إن الصوم متميز عن سائر الأركان بنسبته إلى الله عز وجل، وفي ذلك قال تعالى، فيما تكلم به سيدنا محمد صلّ الله عليه وسلم عن رب العالمين: " كل حسنةٍ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلاّ الصيام فإنه لي ، وأنا أَجزي به".
- **تميز بطيب رائحة فم الصائم عند الله:** قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده لخلوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، ويقول الله عز وجل إنما يَذَرُ شهوتَه، وطعامَه، وشرابَه، لأجلي؛ فالصوم لي ، وأنا أَجزي به.
- **تفرد الصوم بباب للجنة:** قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: " للجنة باب يُقال له الريانُ لا أحد يدخُلُهُ إلاّ الصائمون".
- **تميز الصوم بفرحتان:** قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم صلّ الله عليه وسلم: " وللصائم فرحتان: فرحةٌ عند إفطاره، وفرحةٌ عند لِقاءِ ربه".
- **تميز الصوم بالكف، والترك والقهر:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، **قال رسول الله سيدنا محمد صلّ الله عليه وسلم** : " إذا دخل شهرُ رمضان فُتِحَت أبوابُ الجنّة، وغُلّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطينُ، ونادى منادٍ ياباغيَ الخير هَلُمَّ، ويا باغي الشر أقْصِر"

فالصوم كفٌ وترك وهو في نفسه ليس فيه عمل يُشاهد، في اللحظة التي تكون فيها أعمال الطاعات كافة بمشهدٍ من الخلق ومرآى منهم، إلاّ الصوم لا يراه إلاّ الله عز وجل، فهو عمل في الباطن ويتم بالصبر المجرد، والصوم قهر لعدوّ الله عز وجل، لأن وسيلة الشيطان لعنه الله هي الشهوات، وتقوى الشهوات بالأكل

والشرب، لذلك قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم : " إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا عليه مجاريه" ، (متفق عليه).

درجات الصوم:

صوم العموم:هو الكف عن قضاء الشهوة منها الأكل وهي شهوة البطن، وفي هذا صوم العموم من البشر.

صوم الخصوص: هو كف السمع، والبصر، واللسان، والأيدي، والأرجل، وسائر الجوارح عن الآثام، فلما كان الصوم على الخصوص يُمثل قمعًا للشيطان ، وسدًا لمساره، وتضييقًا لمجاريه، استحق التخصيص بالنسبة لله عز وجل، ففي قمع عدو الله نُصرة لله سبحانه، وناصر الله موقوف على النصر له، قال تعالى في سورة محمد ، آية رقم (7): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾، فالبداية بالجهد من العبد، والجزاء بالهداية من الله عز وجل، فإن كثرة الشهوات مرتعٌ للشياطين، ومرعاهم، فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه، وكان محجوبًا عن لقائه. وهو صوم الصالحين، فهو كف الجوارح عن الآثام: بستة أمور: غض البصر، وحفظ اللسان، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، وكف بقية الجورح عن الآثام، وتجنب الاستكثار من الطعام الحلال وقت الإفطار، والخوف، والرجاء.

صوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنيّة والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل، وفي هذا قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبر ما يُفطر عليه كُتبت عليه خطيئة، وذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل، وقلة اليقين برزقه الموعود، وهذه رتبة الأنبياء، والصدّيقين ، والمقربين.

صوم الخصوص

يُمكن للإنسان أن يصل بصومه إلى درجة صوم الخصوص بالآتي:

أولاً: غض البصر، كفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم، ويكره، وإلى كل ما يُشغل القلب ، ويُلهي عن ذكر الله عز وجل، قال سيدنا محمد صلّ الله عليه وسلم : " النظرةُ سهمٌ مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفًا من الله، أتاه الله عز وجل إيمانًا يجد حلاوته في قلبه" (صحح إسناده من حديث حذيفة)، وروي

عن جابر عن أنس عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، أنه قال: " خمسٌ يُفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظر بشهوة، وقيل حديث فيه تصحيف ، قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب.

ثانيًا: حفظ اللسان عن الهذيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، والفحش ، والجفاء ، والخصومة، والمراء، وإلزامه السكوت، وشغل اللسان بذكر الله سبحانه، وتلاوة القرآن؛ فهذا صوم اللسان، وفي ذلك قال سُفيان: الغيبة تُفسد الصوم، وروى ليث عن مجاهد: خصلتان يُفسدان الصيام: الغيبة ، والكذب، وقال رسول الله صلّ الله عليه وسلم : "إنما الصوم جُنّة، فإذا كان أحدُكم صائمًا فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤٌ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم، إني صائم"، من حديث أبي هريرة.

وجاء في الخبر من حديث عبيد مولى رسول الله صلّ الله عليه وسلّم بسند مجهول : أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا، فبعثتا إلى رسول الله صلّ الله عليه وسلّم تستأذناه في الإفطار، فأرسل إليهما قدحًا ، وقال صلّ الله عليه وسلّم: قل لهما قئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دمًا عبيطًا، ولحمًا غريضًا، وقاءت الأخرى مثلَ ذلك، حتى ملأتاه ، فعجب الناس من ذلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هاتان صامتا عمّا أحلّ الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناسَ، فهذا ما أكلتا من لحوم الناس" .

ثالثًا: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، لأن كل ما حَرُم قوله حَرُم الإصغاء إليه، ولهذا سوّى الله عز وجل بين المستمع للإثم، وأكل السحت، فقال تعالى في سورة المائدة ، آية رقم (42) : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** ... ﴾ ، وقال تعالى في سورة المائدة آية رقم (63): ﴿ **لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ** ... ﴾ فالسكوت عن الغيبة، حرام، وفي ذلك قال تعالى آية رقم 140 من سورة النساء: ﴿ ... **إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ... ﴾ ، وفي ذلك قال رسول الله " المغتاب والمستمع شريكان في الإثم " بسند ضعيف.

رابعًا: كف بقية الجوارح عن الآثام: أي كف الأيدي، والأرجل عن فعل المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ، ثم الإفطار على الحرام، فالطعام الحلال يضر بكثرته لا بنوعه، والصوم للتقليل من الطعام الحلال، إذ إن الحلال دواء ينفع قليله، ويضر كثيره، والقصد من الصوم تقليله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال: " كم من صائم ليس

له من صومه إلاّ الجوع، والعطش" ، وقد قيل في ذلك هو الذي يُفطر على الحرام، وقيل هو الذي يُمسك عن الطعام الحلال، ويُفطر على لحوم الناس بالغيبة، وهذا حرام، وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

خامسًا: تجنب الاستكثار من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليئ من حلال، وكيف يستفيد من الصوم في قهر عدو الله، وكسر الشهوة إذ تدارك الصائم عن فطره ما فاته في النهار، وربما يزيد عليه من ألوان الطعام حتى تصبح عادة بأن يتم ادخار الأطعمة لرمضان، فيُؤكل في رمضان ما لا يُؤكل في عدة أشهر، مع أن المقصود من الصوم هو الخواء، وكسر الهوى؛ لتقوى النفس على التقوى، فالمعدة إذا دُفعت إليها الأطعمة هاجت شهوتها، وقويت رغبتها، وتنامت لذتها، وتضاعفت قوتها، مع أن روح الصوم وسره في تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان ، ولن يكون ذلك إلاّ بالتقليل من أكل الطعام، أي يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، ومن آداب الصوم أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يشعر بالجوع ، والعطش، ويستشعر ضعف القوى، فيصفو قلبه، ويستديم في كل ليلة قدرًا من الضعف ، وبذلك يُصبح تهجده وورده خفيفًا ، وعسى أن لا يحوم الشيطان على قلبه، فينظر هذا الإنسان إلى ملكوت السماء، ويتجلى له الملكوت؛ إذ إن ليلة القدر هي الليلة التي ينكشف فيها شيئ من الملكوت، وفي ذلك قال تعالى آية رقم من سورة القدر ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾، فمن جعل بين قلبه وصدره شيئ، أو مخلاة من الطعام فهو عن تلك الليلة العظيمة محجوب، ومن أخلى معدته من الطعام فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل، وذلك هو الأمر كله، والمبدأ كله حول تقليل الطعام.

سادسًا: الخوف والرجاء، وهذا يعنى أن يكون القلب بعد الإفطار معلقًا مضطربًا بين الخوف، والرجاء؛ إذ لا يدري الصائم أيُقبَلُ صومه فهو من المقربين، أو يُرد إليه فهو من الممقوتين، ويكون بين الخوف، والرجاء في آخر كل عبادة يفرغُ منها، وفي ذلك قيل للأحنف بن قيس: إنك شيخٌ كبير، وإن الصيام يُضعفك، فقال: إني أعدّ صومي لسفرٍ طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه.

الخاتمة

بناءً على ذلك ، يُمكن القول أن هناك فقهاء الظاهر، وفقهاء الآخرة، فأما فقهاء الظاهر فإن لديهم من التكليف ما يتيسر على العموم المقبلين على الدنيا، وأما فقهاء الآخرة فيهتمون بصحة العبادة للقبول، ويهتمون بالقبول للوصول إلى المقصود، فهم يفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل ، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات وفق الإمكان.

ويُمكن القول أن رتبة الإنسان فوق رتبة البهائم ؛ لمقدرته على استخدام عقله في كسر شهوته ، ومحوها، وهو دون رتبه الملائكة، لاستيلاء الشهوات عليه فهو مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك في الشهوات ، والتحق بها، أدى ذلك إلى انحطاط منزلته إلى أسفل السافلين، والتحاقه بزمرة البهائم، وكلما قمع الشهوات ، وتخلص منها، ارتفع إلى أعلى عليين، والتحق بأفق الملائكة، وبما أن الملائكة مقربون من الله عز وعلا، فالذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يكون قريبًا من الله تعالى، فالشبيه من القريب قريبٌ، وليس القرب هنا بالمكان، لكن القرب بالصفات.

فإذا كان سر الصوم عند أرباب الألباب ، وعند أصحاب القلوب، فأي جدوى من تأخير طعام واحد، أو أكثر، والجمع بينهم مرة واحدة في جلسة واحدة عند العشاء، مع الانهماك في الشهوات طول النهار؟

ولو كان في ذلك جدوى أو أي معنى، ورسول الله صلّ الله عليه وسلّم يقول: " كم من صائمٍ ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش" ، وفي ذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر؛ وكم من مفطر صائم

ويُمكن القول أن المفطر الصائم هو الذي يأكل ويشرب، ويحفظ جوارحه عن الشهوات والآثام، أما الصائم المفطر فهو الذي يجوع ويعطش، ويُطلق جوارحه للشهوات والآثام.

قال صلى الله عليه وسلّم : " إن الصوم أمانة ، فاليحفظ أحدُكُم أمانته"، وقد قال رسولنا الكريم هذا الحديث لما تلا قوله تعالى آية رقم (3) من سورة النساء ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**... ﴾

فوضع يده على سمعه وبصره، فقال: السمع أمانة، والبصر أمانة، ولولا أن السمع، والبصر من أمانات الصوم لما قال صلّ الله عليه وسلّم: " فاليقل إني صائم" أي أنني أودعت لساني كي أحفظه ، لا أن أطلقه في الرد أو الإجابة.

ويُمكن إيجاز تلك الكلمات بأن الصوم عبادة، ولكل عبادة ظاهرها، وقشورها، ولبابها، ودرجاتها، وأنت أيها الإنسان لك أن تختار الدرجة التي ستكون عليها في صومك ، وأرجو أن تتحيز إلى أرباب الألباب.